

## لقاء العدد

مع الطبيب الشعبي الإنسان:

السيد محمد العبد أبو العوف – المزرعة الشرقية

### أجرى اللقاء: عبد العزيز أبو هدبا/ وليد ربيع

تتضارب الآراء والنظريات حول الطب الشعبي من حيث مدى فعاليته، ومأمن مداخله وبالتالي الايمان به. وان أول ما يتبادر إلى أذهان الكثير عند سماع كلمة الطب الشعبي، الخرافات والحجاب والمعتقدات الأخرى السائد بعضها في الكثير من مناطق فلسطين . لكن ما نعينه بالطب الشعبي ذلك الطب الذي بني على التجارب المتعددة – بعيداً عن الخزعبلات والخرافات – خلال العشرات بل المئات من السنين، فبقي ما أثبتت التجارب صلاحيته ليبقى شاهداً على عظمة فكرنا الشعبي، والذي اصطلح على تسميته بالطب العربي. ومع إيماننا ان الطب الحديث هو شيء لا بديل له إلا أننا نؤمن إلى جانب ذلك ان هناك جوانب مشرقة في طبنا الشعبي، وقد بدأ الطب الحديث يأخذ بقسم منه خاصة التعبير. ومن هذا المنطلق رأينا ان نغد الخطى إلى طبيب شعبي انسان، مهر مهنته وعرف مختلف جوانبها، ولم يقتصر على ناحية من نواحي هذا الطب بل يكاد يكون قد غطى مختلف جوانب الطب الشعبي العربي.

وفي يوم من أيام الربيع الجميلة، وقد اكتست الأرض بجلتها الخضراء سارت بنا السيارة إلى قرية المزرعة الشرقية – رام الله – التي تتكوى على أعلى جبل في سلسلة جبال القدس (تل العاصور)، وأمام إحدى البنايات الفخمة قابلنا بوجه باسم باش شيخ في السبعين من عمره مردداً عبارات الترحيب " أهلاً وسهلاً، شرفتمو، تفضلوا، البيت ببيتكم".

دخلنا البناء إلى غرفة الضيوف التي فرش جزء منها بالفراش العربي، وعلى الفور أخذنا نتجاذب معه أطراف الحديث، وقد قدمنا له مجلة "التراث والمجتمع" وحدثناه عن أهداف المجلة، فظهر السرور على وجهه وأخذنا نسمع منه قصة حياة طبيب شعبي ماهر، انسان تجاوزت شهرته كل منطقة رام الله لمناطق أخرى.

ولم تكن هذه هي أول مرة نعرفه فيها بل عرفناه سابقاً من خلال تجارب عملية معه في طبه مع أقاربنا وأهلنا.

وعلى مدى ساعة من الزمن تحدث " أبو عمر" عن كيفية اكتسابه لهذه المهارة وممارسته لها، وعن بعض أغرب الحالات التي مرت به أثناء مزاولته لمهنته.

"بديت أجبر من سنة السبعة وعشرين [١٩٢٧] وأول عملية تجبير عملتها هي تجبير ايد أبوي، وما كنتش متعلم قبل هذا الوقت التجبير من أحد، وأنا كل تعليمي كان من عقليتي الخاصة وأنا لا أعرف اقرأ ولا اكتب".

ويكاد بيت هذا الطبيب لا يخلو من أحد المصابين أو المرضى القادمين لتلقي العلاج على يديه وهو يستقبل زواره على مدى الأربع والعشرين ساعة، وحتى في ساعات الليل المتأخرة، يستقبلهم كعادته بالترحاب والبشاشة دون تأوه أو تأفف. "عدد ما جبرت أكثر من ٤ الاف حالة، حتى أنه كان يجتمع عندي في البيت أكثر من أربع حالات، كما صار قبل أيام وجبرت في يوم واحد ٥ حالات، فحصت الكسور وبديت في الكسر الخطير منهن".

إن أبا عمر يعرف عظام الجسم عظمة عظمة ويستطيع أن يعالج الكسور في مختلف عظام الجسم بدقة ونجاح مضمون إن أصعب حالات الكسر هي: الكسرين، كسر الكوع، كسر الغليظ (الورك) وكسر الحوض وكسر الكتف أو حق الرقبة، وكل كسر بعمله نوع خاص من الجباير، لما يكون كسر واحد بعمل مساطر خشب، ولما يكون في الكوع بعمل مساطر خشب وبدق مسمار في كل اثنين حتى يصير سهل تحريك الايد، وعندما يكون كسر الغليظ بعمل مساطر خشب قوية وبثبتها

على الورك، وبعدين زيادة في الأمان منشان ما تتحركش الجباير لان اللحم خميل بعمل قفص وبركبه على الجباير، ولما يبقى الكسر في حق الرقبة بعمل صرة من نخالة عدس وبحطها تحت أباط المكسور".

- يا عم "أبو عمر" ممكن تصف لنا عملية التجبير؟

- أول ما يبجي المكسور بمسك ايده مثلاً ويقول بسم الله الرحمن الرحيم يا خليل، توكلنا على الله، وبتحسس مكان الكسر بأصابع يدي، وبعدين بجيب بكر صابونة وبياض بيض، وبخلطهن وبحطهن على شقفة قماش بيضا وبلصقها على محل الكسر، وبحط مساطر، بفرز طرفها حتى يثبت فيها الخيط اللي بلفه عليهن، وإذا كان الكسر جديد بغسلش بالمى. ويكون أشجع المكسور حتى يشد حيله ويصبر على الوجع، وفي بعض احيان بخرفه قصص عن بنات أنهم كنن صابرات وما جظينش وانتم عارفين أن الزلام بستحوا أنهم يجظوا والبنات يصبرن.

- هل اصبت بكسور في حياتك ومن الذي قام بعملية التجبير لك؟

- انكسرت يدي سنة اثنين وعشرين وداويتها بالكي منحالي ولم يعرف احد من البلد انه أيدي مكسورة لأنه بقي في البلد فساد، وإذا عرفوا انه أيدي مكسورة بتقوى العين علي.

- من أحسن في رأيك التجبير العربي وإلا التجبير في الطب الحديث؟

- الطب العربي في مسألة التجبير ما فيش بعده وكثير من حالات كان الدكاتره يقولوا جبروا عربي، وفي جماعة كان جبار الجبصين ما يزبطش وييجوا عندي أجبرهم. وبذكر مرة أني كنت اجبر في واحد بنابلس وكان قاعد جنبني شخص لابس افرنجي وبعد ما انهيت الجبار قام وسلم علي وقال أنا دكتور وهذي اول مرة بجلس فيها عند مجبر عربي، وأنت بتجبر صحيح وبهنيك.

- هل تدرّب أحداً على التجبير حتى يقوم بهذه المهنة الشريفة - بعد عمر طويل.

- بدرّب ولدي العبد واحد نسايبى، وهم يحضروا عندي لما يقوم بعملية التجبير ويروا كيف اعمل لكنهم ما جبروش ولا مرة قدامي (وهنا همس ابنه العبد قائلاً : لقد جبرت ٤ حالات في غياب والدي ونجحت جميعها).

إن أبا عمر لا تقف خبرته وعمله عند حد التجبير بل تتعداه إلى كثير من فنون الطب الشعبي كعرق النّاء، والقابه، ووجع البطن.

وأثناء وجودنا حضر اليه رجل ومعه ابنته على يدها "قابة" فاستأذن منا ليقوم بعلاج البنت، وتخص يدها، وطلب من زوجته أن تحضر اليه زجاجة الدواء الخاص بالقابة، ثم أمسك بقليل من القطن ولفه على رأس عود وغمسها في السائل البني اللون، وأخذ يدهن يد الفتاة، وهي تتألم ثم قال "ممنوع يبجي عليها ميّه لمدة أربع أيام" وقال "أنا برجعش القطن مرة ثانية في الدوا خوف يتنجس".

- ما هذا الدواء يا أبا عمر؟

- أنني استخرجه من عشبة اسمها "مدادة" حيث ابحش على شرشها لعمق متر وأخذ الشرش وأغليه في الماء فيتكون هذا الدواء، وإذا حطينا عصير الشرش قبل ما ينحل في الميّه فانه يوجع كثير. (هنا أحضرت زوجته الشاي فلم يشرب وقال أنا لا أشرب القهوة أو الشاي ولا أدخن) وفي عندي دوا لوجع القلب، يا مرة هاتي العشبات (فخرجت امرأته وأحضرت حزمة من العشب) فقال هذه اسمها "زيفة" ويطلع على جنب الطرق، وفي عندكم في ترمسعيا كثير منها، وذوقوا زهرتها - مضغنا بغض الزهرات فكان لها طعماً ونكهة لذيذة مع حرقان - وأنا بغليها وبسقيها للي بوجعة بطنه.

- ما هي اغرب الحالات التي مرت عليك؟

- بعد السبعة والسنتين بسنتين، والدنيا شتا، في الليل اجت سيارة على البلد، ووقفت باب الدار، وسمعت دقات على الباب، ففتحت الباب، فلاقيت ثلاث ازام، فقلت تفضلوا، ولما دخلوا وجلسوا احكى معي واحد منهم وقال : هذا رئيس بنك في نيويورك بأمرىكا ورجله موجعة وخسر عليها ١٢ الف دولار ولم يستفيد، وكان يعرف مغتربين عرب، وقالوا له هذا عرق النساء، وهناك طبيب في بلادنا بداويك، وأعطوه عنواني واللي معاه هذا مدير شركة في أمريكا . فأضحكت فقال

الأميركاني بالإنكليزي، انت بتضحك علينا، هذا مش معقول بعرف يداوي، فقلت لا، أنا بقصد أنها سهلة وان شاء الله انك بطيب، وقلت له أنا بداوي عرق النسا بالنار. فقال الأميركاني، أنا بوافق على الكي بالنار لو كان فيه قطع رجلي، وأنا مسلمك حالي، واعمل اللي بدك اياه، فكويتته على زره ورأس رجله، فقام ومشى في الغرفة ٨ مشاوير وقال راح ثلثين الوجع وبقي الثلث، وقدم لي ١٠٠ دولار فقلت، أنا لا أخذ مصاري فقال الأميركاني، لا أنا غني خذ المية دولار فقلت: إذا أخذت من الغني بتعود أوخذ من الفقير.

نعم هذا هو الطبيب العربي الإنسان لا يأخذ من الغني حتى لا يتعود أن يأخذ من الفقير، هذه هي أخلاق شعينا وقريننا، فنحن نعرف حق المعرفة من خلال، تعاملنا وتعامل من نعرفهم مع هذا الإنسان الطيب أنه لا يتقاضى أجراً على ما يقدم من خدمات للناس، بل انه يقدم واجبات الضيافة من طعام وشراب لكل القادمين إليه. - وتابع أبو عمر حديثه - بس اسمحوا لي أقولكم هالشغلة، أنا ما بخدش اجر على عملي، فقط عندما كنا نبنى في جامع البلد كنت اطلب تبرعات من المصابين للجامع مقابل وصل رسمي مختوم بختم الأوقاف، ومجموع ما تبرع به المصابون حوالي ٥٠٠ دينار أردني.

أدركنا المساء ونحن في ضيافة العم "أبو عمر" فاستأذنا بالانصراف، وهنا ألح بكل شدة، وبكرم عربي أصيل بالطريقة العربية في الإلحاح أن نبقى ضيوفه ونتناول طعام العشاء عنده وننام تلك الليلة.

وأخيراً قبل عذرنا بعد طول جدل، وسمح لنا بالانصراف، وخرج مودعاً لنا حتى الباب الخارجي، وما أن خطونا أمتاراً إذ به ينادي "يا أساتذة، بتسمحوا شوية، فعدنا واذ به يمسك يد البننت التي داواها أمامنا وقال "شوفوا، هي الدواء بين مفعوله حالاً". وفعلاً شاهدنا القابه (ألوبة) قد كشت وأخذ سائل ينزل منها، فقال "بعد أربع أيام لن يبقى لها اثر، ولا تحتاج إلا لهذه الدهنة". ودعنا ثانية، ودعونا له بطول العمر وباركنا له جهوده المشكورة في خدمة الإنسانية.